

« الجرمية والعقاب »

بقلم عماد حاتم

- ١ -

الفيلسوف « لديه » . ولعل هذا ما يفسر اهتمام الروائي الروسي باضرابات المحاكم الجنائية المعاصرة ، وانكبابه المحوم على ما كانت تعرضه المجلات والجرائد حول ذلك . ويفسر كذلك تلك المحاولات الجبارة التي كان يقوم بها لتفسير الجريمة وتعميق اسبابها . ومن ناحية اخرى فقد اهتم الاديب ، في عرضه للجريمة - شأنه كذلك في تناول النواحي الاخرى من الحياة - لا بالنواحي السطحية ، بل بدراسة الطبيعة البشرية ، وبشكل خاص بدراسة نفسية المجرم المعقدة . فهذه النظرة النافذة الى الاعماق هي ما يميز الرواية . اذ بينما ينصب اهتمام مؤلف القصص البوليسية مثلا على الصراع القائم بين المجرم وبين من يحاول كشف جريمته « كالشرطة والمحققين » نسرى ان صراع المجرم مع القوانين المدنية ثانوي الاهمية بالنسبة لدستوفسكي وهو يعطي مكانه للصراع الباطني الاخلاقي الذي يعتمل في نفسية المجرم . واخيرا فقد اضاف دستوفسكي الى الجريمة حكمه الاخير عندما وضعنا امام وصيته المسيحية الرائعة والتي تحتل مكانها بين الوصايا العشر - « لا تقتل ! » .

- ٢ -

تعتبر رواية « الجريمة والعقاب » من اعظم ما كتبه دستوفسكي، وهي تحتل قمة شامخة مما قدمه في ميدان الادب الفني . كما تمثل بالنسبة له مرحلة جديدة في تناول الحياة الروسية - مرحلة الانقطاع النهائي عن موضوعية المدرسة الطبيعية الجردة وبدء محاولته اعطاء الحياة معنى وتفسيرا جديدين . كما ان فلسفته المسيحية - والتي ستتردد فيما بعد في رواياته التالية باشكال مختلفة - ونظراته الجديدة الى العالم بعد عودته من « بيت الموتى » - كل هذا يجد انعكاسه الصريح والكامل في هذه الرواية .

اما في ميدان دراسة الطبيعة البشرية والعالم الداخلي للانسان، والتي كانت من اهم المشاغل التي ظلت تلح على دستوفسكي طيلة حياته فجعلت رواياته امثلة حية على هذا الاضطراب الفكري، فالجريمة والعقاب صورة حية وجديدة عن هذه الدراسات وتجربة رائعة وموفقة في هذا السبيل وثمره ناضجة لما قدمته له حياته الفنية بالاحداث والتجارب . فالرواية تحكي جريمة انسان مثقف ، وقد كانت حياة الاديب في سيبيريا بين القتل والمجرمين من اول مصادر هذه الرواية : اذ قدمت له مفهوما جديدا ومختلفا للشخصية الانسانية ، وفتحت امامه افافا جديدة اثارت اهتمامه ودهشته . فهو يرى ذلك العالم الداخلي المتكامل الذي يعيشه سفاكو الدماء وتدهشه ارادتهم الجبارة القاهرة . يكفي ان نقرأ بعض ما كتبه في « مذكرات من بيت الموتى » عن ارلوف - احد هؤلاء القتلة - لنفهم نظرة الاديب الجديدة الى الجريمة كمشكلة فلسفية اخلاقية : « كان جليا ان لهذا الانسان كامل القدرة على التصرف بنفسه بشكل لا حد له . كان يزدرى اي لون من الوان العذاب او العقاب ولا يهرب شيئا على وجه الارض » ، ففكرة البطل تنطلق لدى الاديب من مثل هذا القائل الذي لا يوقفه امام جريمته اي وازع نفسي او اجتماعي . الا ان هذا لا يكفي . فالمجرم في الرواية انسان مثقف يحمل فكرة وليس عاديا ممن تفض بهم السجون . واذا ما عدنا الى حياة الاديب ومؤلفاته وجدنا مثل هذا البطل انسانا حيا تعرف عليه الكاتب فسي مطالعته . ففي احدي المقالات اعاد دستوفسكي الى الادهان قضية بيير

في شباط سنة ١٨٦٦ كتب دستوفسكي الى صديقه فرانجيل قائلا : « منذ اسبوعين صدر الجزء الاول من روايتي في عدد كانون الثاني من مجلة « روسكي فيسنيك » . اسم الرواية « الجريمة والعقاب » . ولقد سمعت كثيرا من الآراء المتحمسة حول هذه الرواية - آراء جريئة وطريفة ! » . فما هي هذه الرواية ، وما الذي اثار حولها هذه الآراء المتحمسة؟ في رسالة الى المحرر كاتكوف يرسم دستوفسكي صورة سريعة لروايته التي صدرت منذ مائة عام . فلنسمع بعض ما جاء فيها : « انها - اي الرواية - تقرير نفسي عن احدي الجرائم ... شاب مفصول من الجامعة ... يعيش في احط درجات الفقر ، ويقرر بفعل اهتزازه الفكري ، وذبذبة مفاهيمه ، وتحت ضغط بعض الافكار الغريبة «الناقصة» التي تملأ الهواء ، ان يتخلص من مصيره دفعة واحدة ، فيصمم ان يقتل عجوزا ... تدين مالا بالفائدة ... ويتأني له تنفيذ مأربه بسهولة ونجاح ... لكنه يضطر الى افساء سره ... وذلك لكي يقترب من البشر ولو كان ثمن ذلك ان يموت في عذاب الاشغال الشاقة ، فاحساسه بالانفلاق ، والانفصال عن الانسانية يرهقه » .

يرى الكاتب ان روايته تقرير نفسي عن جريمة من الجرائم، فيعرض فكرته بكل قوة وعبقورية ، لكن ما قدمه الاديب الروسي كان اوسع واعمق بكثير مما ظنه تقريرا مجردا . لقد كانت « الجريمة والعقاب » سببا لخلود دستوفسكي ، ونحن نرى سبب خلوده فيها لا نجاحه في ايراد ذلك التقرير فحسب، بل وفيما عرضه من قضايا نفسية واجتماعية اخرى . فقد شملت الراية جميع المشاكل الرئيسية التي عاصرت الاديب ، وليس بطلها الا جزءا من ذلك العالم الحي المتكامل الذي يعيشه في تلك الموسوعة الهائلة ، وما جريمة قتل العجوز المرابية الا واحدة من تلك الجرائم الكثيرة التي نلتقي بها في صفحات الرواية ، والتي لا تقل هولاً عن قتل انسان .

كانت الجريمة ، واسبابها ، وانتشارها من اهم السمات المميزة لادب دستوفسكي بدءا من روايته هذه « الجريمة والعقاب » . فالمحور الاساسي لكل من « الابله » و « المراهق » و « الاخوة كرامازوف » هو الجريمة ، وبالتالي العقاب . كما ان رواية « الابالسة » مشحونة بتسع جرائم قتل وانتحار تتم فيها في غضون ايام معدودة .

لا بد وان نشير هنا الى ان الجريمة قد عرضت قبل دستوفسكي في الادب الروسي والاجنبي كنتيجة للصراع بين السماء والجحيم احيانا كما في الروايات الفوطية ، و احيانا نتيجة ساذجة لمفامرات مصطنعة . وجاء بلزاك ، ابو الواقعية ، فتقدم بالجريمة خطوات الى الامام فكانت في رواياته نتيجة منطقية لسير الحياة وحدثا من احداثها العابرة .

وعلى الرغم مما يعرض في روايات دستوفسكي من جرائم ، فانها لا تعرض غيبيا كنتيجة للصراع بين السماء والجحيم ، ولا هي قضية رومانتيكية ساذجة ، كما انها اعققت من مجرد كونها حدثا من احداث الحياة اليومية ، وابتعد ما تكون عما اصطلح على تسميته حديثا بالروايات البوليسية . كان دستوفسكي ينظر الى الجريمة كانعكاس واضح وبارز للتناقضات القائمة في حياة ووعي الفئات الاجتماعية العليا والطبقة المثقفة بالذات . (فالقتلة في جميع قصصه اشخاص من المثقفين او ممن يحملون فلسفات عميقة في الحياة ، وهذا ما يوصلنا الى تعبير « القاتل



دستوفسكي

اطلاع راسكولنيكوف على مصير اسرة هذا المسكين بل في رفض البطل لهذا المصير الفاجع مما جعله يتردد طويلا قبل ان يقرر الندم على اجرامه بحق مجتمع يرضى عن وجود مثل هذا المصير . فبانضمام القصة هذه يتسع الميدان الاجتماعي للرواية اتساعا كبيرا بخروجه عن الفكرة المحدودة التي عرضها الاديب في بداية فكرته . وبلاضافة الى ذلك فان مصير كل شخصية من آل مارميلادوف ، سواء الاب ام الاطفال ، ام سونيا ، ام كاترينا ايفانوفنا ، يردد الرواية بخاصية من اهم خصائصها وهي المساوية والعمق ، ويجرد الحياة من اغلفتها فيظهرها على حقيقتها القاسية في هذا العالم الفاجع .

اما مسرح الجريمة فهو العالم الكئيب الذي تكاد نلتقي به في كل رواية لدستوفسكي والذي يكاد يكون احدى مميزات ادبسه الخاصة - هذا العالم الطابع القاتم حيث تنعدم الصور المشرقة وحيث يشعر الانسان بان شيئا ما ثقيل يجتمع فيه ثقل العالم المادي الى ثقل العالم الداخلي النفسي ، هذا العالم الذي يتمثل هنا في بطرسبرج - المدينة ((الشريرة ، المضجرة ، الشنيعة)) كما يسميها الاديب ، حيث يتجرد الانسان من اخر ملامح انسانيته ، وحيث تصادفنا الاجواء المشبعة بابخرة العانات وروائح الدم وشتائم السكارى ونجيع الصدورين . في هذا الجو اللزج الكريه حيث تنعكس الابنية الضخمة الضيقة المسالك في مياه النهر السوداء الداكنة ، وحيث ينتشر الضباب والليل بكل ثقله في هذا الجو الذي يشير الى ثقل الحالة النفسية لدى كل من شخصيات الرواية تتميز شيخ شاب يسير مزق الثياب ، بليد الخطى ، ليدخل منزلا ، يخيم عليه ظلام القبور ، فيهوى بفأسه على رأس امسرة عجوز تخر صريعا لتتبعها اختها . . . ويخرج حاملا ثروة يظن ان فيها

فرانسوا لاسينيير ، ذلك الشاب الفرنسي الذي حاول فجر حياياته دراسة القانون . ثم صرع الخطيب الفرنسي الشهير بينجامين كونستان في مبارزة سنة ١٨٢٩ فكانت هذه اول خطوة اغوته لان يصبح في عدد المشاهير . فحاول بعد خروجه من السجن ان يعمل فسي حفل الادب لكنه فشل ، ثم الجائه الحاجة وحب الجاه الى مرافقة اللصوص وارتكب اخيرا جريمة قتل في سبيل المال فحكم بالاعدام . لكن ذلك لم يمنعه من ان يصدر من السجن ديوان اشعاره الاول وان يعقد هناك مؤتمرا للادباء والاطباء والمحامين فيبهرهم بذكائه ونير افكاره . كتب دستوفسكي سنة ١٨٦١ في العدد الاول من مجلته ((فريميا)) قائلا : - ((القضية هنا تتناول شخصية انسان ، شخصية اسطورية غامضة ، رهيبه ومثيرة . فالقراؤ المنحطة وضالة الانسان اذ يصبح فقيرا هي التي جعلته مجرما وجذ في نفسه الجراة لان يكون ضحية عصره

ويجدد بنا ان نشير هنا الى ما عاناه دستوفسكي نفسه فترة كتابته روايته هذه من ازمان عتيقة . فقد توفي اخوه ميخائيل سنة ١٨٦٢ مخلفا وراءه اسرة كبيرة كان على الاديب ان يعولها ، فلجا الى الدائنين والمرابين الذين اشتد الحاحهم عليه ، الى ان كان فاستندان مبلغ عشرة الاف روبل من عمته العجوز كومانينا . فكانت حياته هنسا صورة عن حياة بطله في هذه الفترة : ذ يرى امامه حيوات ومواهب ممثلة في ابناء اخيه ، مواهب تخفق في موهبا بسبب الفقر ، وعمسة خرقاء واسعة الثراء توصي بكميات هائلة من المال لتزيين الكنائس ، ولكي يصلى من اجلها بعد موتها - صورة مطابقة تماما لما نراه في حالة راسكولنيكوف ومعارفه والمرابية الينا ايفانوفنا .

وتتخذ هذه الازمة المالية اعنف شكل لها عند اول شروعه بكتابة الرواية . ذلك عندما سافر الى الخارج سنة ١٨٦٥ وخسر في مدينة فيسبادن على مائدة القمار كل ما يملكه حتى ساعة جيبه . كان الاديب في بطرسبرج - يامل ولو براحة نسبية من الحاح الدائنين ، اما هنا فقد اصبح مهددا بالجوع الجسدي المرير الحق . ورسائله من فيسبادن تشير الى ذلك بصريح العبارة : ((اخبروني عند الصباح الباكر بان الاوامر قد جاءتهم في الفندق بمنهي الطعام والشاي والقهوة)) وفي رسالة اخرى : ((استمر على عدم تناول الطعام . ها هو اليوم الثالث وانا اتبلغ بشاي المساء والصباح . العجيب انني لا احس بالجوع . . . لكن ما يؤلني هو انهم يلحون في مضايقتي ، وحيانا يحرموني من الشمعة في المساء . . .)) . ما اشبه هذه الحياة بحياة راسكولنيكوف قبيل اقترافه الجريمة . ان مشكلة الجوع لم تلح على دستوفسكي من قبل بمثل هذه الحدة . وهو فيما بعد يشير الى هذه الفترة كفترة حاسمة لولادة ((الجريمة والعقاب)) .

- ٣ -

لقد كان الشكل الاخير ((الجريمة والعقاب)) في مخيلة الكاتب مزجا لقصة عن انسان متفوق مع قصة اخرى اسمها ((السكارى)) كان قد كتب القسم الاعظم منها وقدمه الى كرايفسكي رئيس تحرير مجلة ايتشستفنيي زايبسكي ، وكانت - حسبما يذكر دستوفسكي في احدى رسائله - تتحدث عن المأساة الاليمة التي يعيشها اطفال السكارى المدمنين على الخمر ، ومنها تنبعث اللوحة الجماعية لاسرة مارميلادوف ومصيرها الفاجع في ((الجريمة والعقاب)) . لكن القصة لم تر النور بسبب الضائقة المالية التي كانت مجلة كرايفسكي تعانيها . ولقد تمكن دستوفسكي من حبك القصتين وتقديمهما بطريقة عبقرية زادت الرواية قوة ورونقا من الناحية الفنية وفتحت امام الاديب افاقا حياتية جديدة مكنته من تصوير الحياة بشكل اغنى واكمل . ففكرة جريمة راسكولنيكوف تظل هي الأساس الغالب حتى بعد انصهار القصتين معا ، اذ تفسرت فكرة ((السكارى)) لدى دستوفسكي بعد ان دخلت في ((قصة عن شاب يقتل عجوزا . . .)) ولم تعد قضية منفصلة مستقلة اذ بدأ السكير مارميلادوف واحدا من الشخصيات التي سحقتها الحياة فاتصل بمصيره عضهنا بمصير راسكولنيكوف - هذا الاتصال الذي لم يقف عند حد

خلاصه . ذلك هو بطل القصة - رادبون راسكولنيكوف ، طالب كلية الحقوق بجامعة بطرسبرج الامبراطورية .

— { —

يخشى دستوفسكي في روايته عددا كبيرا من الاحداث والشخصيات التي تترايط فيما بينها حياتيا ومصيريا فتشكل وحدة فنية فريدة حتى لنعجز عن فهم اي من هذه الشخصيات او الاحداث منفصلا عن سواه او عن المجرى العام للرواية . كما ترتبط كل من هذه الشخصيات ارتباطا عضويا بالارض الروسية ، وحياتها الفكرية والاجتماعية . ويوزع دستوفسكي فلسفته على هذه الشخصيات بطريقة خاصة وبارعة .

فراسكولنيكوف في الرواية نموذج حي لتلك الشبيبة الروسية المعاصرة لدستوفسكي والتي عاشت اعنف فترة في تاريخ روسيا : عندما كان القديم يحضر تاركا مكانه لحاضر متفسخ وقاس ، والمستقبل مجهول لا تسير اغواره . ان البطل مثال لتلك الشبيبة العاطلة البائسة ، التي تحس في داخلها قوة قهارة لا تدري اين تذهب بها ، وتعني في الوقت ذاته قدراتها وطاقاتها وتفوقها ، هذه الشبيبة التي يوصلها فراغها ومحيطها الثقيل الى اجواء من الفردية الضيقة حيث يرى الانسان نفسه عملافا ويرى ما حوله فشات راعشة يجب ان نسحق هذه الفردية التي تتلمس صلاحها ويندو لها قواها ضخمة في مجمع يموج بالفساد فنحاول تحطيم كل القيود طامحة الى حرية فوضوية لا محدودة . وهو بالنسبة لدستوفسكي خصم فكري يحمل فلسفة معادية للادراف وللشيحية ، وهو الابن الضال الذي يجب ان يعود الى حظيرة الابان .

اما سيفدريجايوف فهو الاقطاعي الفني الذي افسده غناه فاباح لنفسه ان تقترب اي شيء ما دام يملك ثمنا لاي شيء . انه اناني وشهواني وفاجر وبارد الحس ولا يثيره اي لون من الوان الموبقات . لكن ما يثير الاهتمام هو محاولة الكاتب اثارة تغيير ما في نفسية هذا الافاك تحت تأثير عاطفة صادقة ، وظهاره قادرا حتى على الضريبة والتخلي عن الذات تحت تأثير الحب الصادق اذ احتل لأول مرة قلبه . ومن الناحية الفلسفية يسير سيفدريجايوف هذا في الطريق المعاكس لطريق راسكولنيكوف . ففي الوقت الذي يحاول فيه الاخير ان يسمو بعد جريمته فيكفر ويعود ، نرى سيفدريجايوف يسدد السلى رأسه الرصاص بعد فقدانه كل شيء . في هذه الشخصية تفتتح الملامح الشريرة المجردة التي ستتطور فيما بعد في روايات دستوفسكي فنلتقي بها في شخصية راجوجين اولا - ذلك الذي يمثل الشر مناقضا لما يمثله الامير ميشكين - ثم نراها مجسمة مضخمة في شخصية ستافروجين وفيودور كرامازوف الاب . ان هذه الشخصية مرددة فيمن تلاها من ابطال دستوفسكي السليبين ، تعني بالنسبة للروائي الروسي البؤرة العميقة التي يمكن للانسان ان يتردى اليها عندما يتعمد لديه اي اساس او ازاع اخلاقي او ديني .

ونصل شخصية ماريلادوف اتصالا وثيقا بكثير من المقالات التي تناول دستوفسكي فيها مشكلة السكر والدمارة . فقد عرفت صفحات مجلتيه « فريميا » و « ايوخا » كثيرا من المقالات حول الصلة الفاجعة بين الادمان على الخمر وبين الدمارة والعطالة والتسول وتشرذم الاطفال وهلاك اسر كاملة . ومن هنا تنطلق الخطوط الرئيسية التي تحدد مصير اسرة مارميلادوف : السل والبطالة الصغراء والتسريح من العمل والفقر الاسود والاطفال الهزلون ، بالإضافة الى صورة ابوين يهلكان على فارة الطريق . لقد وصل دستوفسكي بمشكلة السكر هذه الى اغوار المأساة الحقة فقلما نجد بين صفحات الادب العالمي فيما سبقه ، والذي اعناد على تناول مشكلة السكر من ناحيتها الفكاهة المرحية ، ما يماثل ما قدمه دستوفسكي في مصير هذه الاسرة الشقية .

وتزداد المأساة بعدا في تصوير الكاتب لشخصية سونيا . فقد احاطها بالاسباب الكبرى للدمارة : ادمان الوالد على الخمر ، والفسق المدقع والزواج الثاني للاب الى هزال الثقافة وجسد فتسي تطارده شهوات الاخرين ، هذه الاسباب التي تحدد مجرى حياة سونيا . الا ان

دستوفسكي اشار في مصير بطلته ، الى منابع العميقة من الحب الفيري الخالص ، وجمالنا نخشع لمقدرتها الهائلة على التفاني في سبيل الاخرين . فهي دوما تعرف كيف تضحي بنفسها ، وهي علسى استعداد للقيام بذلك طيلة حياتها . وهي المثال الاجابي بالنسبة للمؤلف وواحدة من افوى الشخصيات النسائية التي صورها ، وهي تحمل بذور فلسفته المسيحية التي ستتطور فيما بعد في شخصية الامير ميشكين واليوشا كرامازوف على الاخص . اما بالنسبة لراسكولنيكوف فسونيا هسي القيس الذي ينير لسه الطريق ويرى ان لا سبيل امامه الا المسير على هذه ليخلص .

اما المحقق بورفيري بيتروفتش فانه يمثل الى حسد بعيد فكرة دستوفسكي ونظرته الى بطله ، وكان مهمته بالنسبة للكاتب هي ان يجرّد راسكولنيكوف من غروره ويفضح ايدولوجيته ، ويظهر ضعفها ، فيحاول اجبار المتهم على ان يعترف شخصيا ، ومن تلقاء نفسه ، لا بالجرسية بقدر ما يهيمه ان يعترف بعدم جدواها . واهم ما يثير في شخصيته كمحقق ، هو ايمانه الثابت بالتحليل النفسي وبان عمل المحقق « شيء فني بحد ذاته » وهو لا يؤثر على راسكولنيكوف بابعائه فقط ، بل وبحذافة لعنته ، وبتأثيره الخلقى في حوارهما الاخير خاصة . كما ان نظره الى متهميه تحمل كثيرا من المشاركة ، بل والعاطفة الصادقة . نظره الى ميكولا مثلا تؤكد ذلك . وهذه الناحية بالذات كانت شديدة الهمية بالنسبة لدستوفسكي في نظرته الى المحقق الجنائي .

واخيرا فان نيكولاي ديميتسييف ، الفلاح المتهم بجريمة القتل التي ارتكبها راسكولنيكوف ، يقف بقوة الروح « وطفل صغير راشد » وهو - وهذا هو الهم - مستعد لحمل صليبه واستقبال الالام ، وحتى الانتحار او المضي الى الموت او الاشغال الشاقة بشكل مسيحي مسالم .

ونلمح في شخصية رازوميين صورة سريعة للانسان المكافح المؤمن بالمستقبل . اما لبيزيا تفيكوف ، فان دستوفسكي يرسم في صورانه واحكامه صورة كاريكاتورية للفئات الثورية التي عاصرت الاديب . ولقد نجح الى حد كبير في التسمير بسطحية افكاره التي كانت ، بعكس ما يتصوره دستوفسكي ، بعيدة كل البعد عن افكار اولئك الذين شاركهم دستوفسكي افكارهم فجر شبابه ، فكادت مرة ان تودي بحياته .

— ٥ —

سببان ام سبب واحد للجريمة ؟

في الجزء الرابع من القسم الاول « للجريمة والعقاب » يفرق راسكولنيكوف في افكاره هذه بعد ان يتسنى له انقاذ الفتاة المخمورة من ذلك السيد المترهل الذي كان يلاحقها :

« ستفيق ، وستبكي ، ثم تعرف انها .. فنضربها بادى الامر ثم تسوطها ، بشكل مؤلم ومعيب . بل قد نضربها .. فاذا لم تفعل ذلك احسنت مثيلات داريا فرانتسيفنا بالامر ، وتبدأ الفتاة الصغيرة بالتنقل هنا وهناك .. ثم تأتي المستشفى بعد ذلك (هذا ما يحدث دائما لاولئك اللاتي يعشن ظاهرات عند امهاتهن ويخطرن خفية عنهن) ، وهناك .. وهناك المستشفى من جديد ، فالخمر فالعانات .. فالمستشفى .. نفو! فليكن ! يقولون ان هذا هو المفروض ، مثل هذه النسبة كما يقولون يجب ان تمضي كل سنة .. الى .. لعلها الى الشيطان ، وذلك بنية ان يحتفظ الاخرون براحتهم وهدوئهم . نسبة ! حقا . ان مثل هذه الكلمات عظيمة لديهم : فهي مهدئة تماما وعملية . فاذا ما قيل : نسبة ، لم تعد ضرورة لان نقلق . ماذا لو ان دونشكا وقعت في هذه النسبة ! اذا لم يكن في هذه النسبة ففي تلك .. »

هذا المقطع الصغير يلقي ضوءا على اهم منابع الاجتماعية لجريمة البطل .

فهذه النسبة الرهيبة تقض مضجع راسكولنيكوف ، ويرى نفسه شخصيا ، الى جانب امه واخوته واسرة مارميلادوف من ضحاياها . يقدم الكاتب عرضا مفصلا لكل تحركاته ولظروفه المادية الصعبة ، ولاحساسيس

— التتمة على الصفحة ٧٤ —

الجريمة والعقاب

— تنمة المنشور على الصفحة ١١ —

الجوع والعري التي ترهقه . ويشركنا عاله الثقيل المطبق الظلال حيث ينتظره الجوع والتشرد بعد فصله من الجامعة وحيث يرى امه الحبيبة تتذوق مرارة ايامها صريعة الفقر وحيث تتقدم اخته راضية لتكون واحدة من هذه النسبة ، لتبيع نفسها ، وان كان تحت طابع شرعي ، الى انسان ابعد اهدافه في الحياة هو ان يتزوج من فتاة رقيقة الحال ليضمن لنفسه السيطرة العاطفية عليها بعد ضمانه السيطرة الاقتصادية ، وكل هذا من اجل ان تتمكن اخته من مساعدته ولو بالنزر القليل . ان البطل يرى اخته تسير حثيثة الخطى لتضمها هذه النسبة التي يجب ان تتحطم من اجل هناء الآخرين . ويكاد اسرعه للوقوف في سبيل ذلك يعطسي الجريمة توقيتها الزمني . ثم يدخل بنا الكاتب عالم مارميلادوف ويضعنا امام اسرة كاملة لا مورد لها في الحياة الا جريمة يشترك فسي تنفيذها المجتمع بأسره وهو راض ومستقر ، ذلك ان سونيا دخلت هذه النسبة الفاجعة زراحت ببيعها نفسها تطعم الافواه الجائعة لاسرة كاملة . كل هذا ومخيلة البطل لا تفارقها صورة المرابية العجوز المتهرئة ذات العنق « الشبيهة بساق الدجاجة » والتي تكنز مالا سيذهب لاحد الاديرة بمسد موتها ، مالا تستعبد حتى اختها المسكينة في سبيل جمعه . والمجتمع يرى كل هذا في طبيعة الاشياء .

يقول بيسارييف ، ناقد مجلة « ديلا » في مقالته « الصراع من اجل الحياة » ، وذلك في عدد ايار سنة ١٨٦٨ — « ان السبب الجوهرى الاوحد (للجريمة) هو تلك الظروف القاهرة التي لم يكن تحملها بمقدور بطلنا النهار الاعصاب ، الضيق النفس ، والذي كان اسهل عليه ان يلقي بنفسه مرة واحدة في الهوة على ان يتجرع شهرا بعد شهر ، وربما سنة بعد سنة ، مرارات ذلك الصراع الابكم المنهك المقيت مع كل لون من الوان الحرمان » .

فهل تنتهي جريمة راسكولنيكوف عند هذه الاسباب المادية ؟ بالرغم من هذا العرض السهب للظروف المادية وللاسباب التي دفعت بالبطل الى الجريمة فان دستويفسكي يعتبر كل هذه الاسباب ثانوية الاهمية . ويرى ان جريمة بطله — كما قلنا في مقدمة بحثنا — وليدة اهتزازة الفكري وذذبذة مفاهيمه ، ووليدة بعض الافكار الغربية الناقصة .

ونحن نرى ان السبب الذي جعل دستويفسكي يورد نظرية بطله بكل هذا الاسهاب هو رغبته القاهرة بدحضها . جريمة راسكولنيكوف ليست جريمة انسان فقير فحسب ، بل ، وقبل كل شيء ، جريمة انسان ابتعد عن الله . لقد قام بفعله لان فكرة وليدة الاتحاد والفوضى الفكرية قد استعبدته ، فكرة وجدت طريقها الى احدى المجالات على يده ، ثم اراد ان يخرجها الى حيز التنفيذ العملي . الفكرة تقول ان فئة من المتفوقين تنطلق في مجتمع من المجتمعات فسي الوقت الذي يحني بقية سواد المجتمع راسه للوضع الراهن دون تفكير او مقاومة .

ومن العدل ان نشير هنا الى ان راسكولنيكوف فسي حله لظاهرة الامتياز هذه ، واستعراضه لاصحابها ، لم تخطر على مخيلته صور اصحاب الفتوحات الحربية او القادة ، بقدر ما اجذبته صور اصحاب الفتوحات العلمية والفكرية . فلم يذكر من اسماء القادة الا اسم نابليون بينمما اشار الى النبي محمد ونيوتن وكيبلر وليكروج وسولون ، وحتى اسم نابليون ورد لديه لا بدوره الحربي بل بدوره كناشر الافكار الثورة الفرنسية الجديدة . من هذا نرى ان فكرة البطل كانت التضحية فسي سبيل اهداف انسانية شاملة لا اهداف شخصية ضيقة . يرى راسكولنيكوف اذن ان فئة المتفوقين هذه تلعب من قبل معاصريها

ليباركها الاحقاد . وهي ذات حق في ان تسفك الدماء من اجل غاياتها النبيلة وان تحمي من يقف في طريقها . وما السواد الاعظم في نهاية الامر الا قطع ذليل يخضع دائما للاقوى ويبحث ابدا عن القائد وعن النموذج . ان راسكولنيكوف لا يفكر فيما يدفع هذا السواد الاعظم على الخنوع ، فخنوعه فقط يكفي ان يعطي البطل الحق لكي يرتفع فوقه ويقترف ما يراه من جرائم ما دام الآخرون صامتين . يصل البطل بعد اقتناعه بفكرته الى مرحلة اخراجها الى حيز التنفيذ ويضع امام نفسه معادلة رهيبية : هل انا انسان متفوق حقا ام اني تافه ؟ ولم يكن امامه الا القيام بالتجربة ليجيب على السؤال . ويقف دستويفسكي عند هذا ليدحض بفلسفته المسيحية هذه النظرية : ذلك ان روايته كلها ما هي الا برهان فني على الافلاس العملي والنظري لهذه الفكرة — فكرة احقية التفوق في فرض اخلاق جديدة على العالم فيسير ببطله خطوة خطوة يجعله يقتنع بكذب وتهافت نظريته ، ويبرهن له ان الشخصية مهما سمت وتفوقت فليست بقادرة على تخطي الاعراف الموضوعة وانها اذا ما فعلت ذلك فلن تجني الا هلاكها الجسدي والفكري . فالتجربة التي قام بها راسكولنيكوف عادت عليه بنتائج مفايرة تماما لما كان يتوقعه . اذ ان مصرع المرابية لا يعجز فقط عن تأكيد نظرة البطل الى نفسه والى شخصية الانسان المتفوق بل ويجر وراءه الافلاس التراجمي لجميع الاسس الفلسفية والاخلاقية التي اوصلت البطل الى جريمته ، اذ يستنتج راسكولنيكوف من خلال تجربته الشخصية ومن خلال امثلة تقدمها له ملاحظاته حول غيره من الشخصيات كلوخين وسفيدريجايلوف وسونيا مارميلادوف ان اعراف « الانسان المتفوق » التي كانت تتمثل له قبل الجريمة انتفاضة ابية ضد كل نظام الحياة المحيط ، لا تختلف بشيء عن الاعراف اللانسانية التي كثيرا ما ينادي بها ويطبقها اناس من الطبقات الرفيعة في المجتمع ممن يعتبرون ان الجريمة والاغتصاب والسرقفة من اسسط قوانين الحياة . اما اصحاب المبادئ الاخلاقية السامية والجمال الروحي الصادق ، فانهم يظهرون امام البطل بمسد جريمته ، لا في وجوه اولئك الذين يحاولون الارتفاع فوق البشر ، بل في اولئك البسطاء الذين يحتفظون في اعماق انفسهم بايمانهم بالحياة ، وبالانسان على الرغم مما يقاسونه من اذلال على ايدي ظالمهم وبرغم فسوة الظروف المحيطة وانعدام العدالة في المجتمع ، وبرغم كونهم ضحايا مضطهدة فانهم يظلون على ثباتهم الخلفي ويحتفظون بالكسره الشديد للاغتصاب والشر وللجريمة .

قبل الجريمة كان راسكولنيكوف يحسب انه احكم خطته حتى النهاية وصمم جميع تفاصيل جريمته وامكانياتها . لكن الحياة الدفاقة بدت له اكثر تقدا وغنى من اية افكار عادية ساذجة لمثل هذا البطل المفرور الفرد . فبدل ان يقتل العجوز لوحدها ، يضطر لسبب عابر ان يقتل اختها التي كانت عائدة الى المنزل ، ولسبب عابر كذلك يطلب الى مركز البوليس حيث يجذب اليه انظار الشك وحيث يبدأ صراعه المرهق المقيت مع المحقق بورفيرى بيتروفنتش ويحاول تضليله (كما يبدو له) لكنه لا ينجح الا في الصاق التهمة بنفسه اكثر فاكثر .

لقد اخفق راسكولنيكوف لا في ظنه فقط ان الانسان قادر على التفكير والاحتياط لجميع ملابسات الجريمة وانه لن يدوق اي عقاب ، بل واخطا كذلك في ظنه ان الجريمة لن تؤثر على علاقته بالآخرين ، اذ كان يحسب ان حكم الآخرين لن يهجم ابدا ، لكنه اكتشف ان الانسان ليس وحيدا في العالم فقد بدأ يحس بعد الجريمة باحساس « الانفلاق والانفصال عن الانسانية » وغدا اقرب الناس اليه — امه واخته — بعيدا عنه الى حد لا نهاية له . لقد بدد راسكولنيكوف بجريمته علاقته بالآخرين اذ وضع نفسه فوق قوانين التعايش البشري . كان يفكر بقتل عجوز مقيتة « فقتل نفسه » بدلا منها كما يعبر في حديث له مع سونيا مارميلادوف ، تلك الناعسة الذليلة التي تجتذب المجرم بسموها الروحي ، فيجد لديها استجابة لالامه . وهي التي تصحبه بتسليم نفسه بمسد صراع روحي طويل ومحاولات طائلة للتبرير ، وبعد ان ثقله فظاعة وضعه فلا يرى لنفسه مخرجا .

فوق البشر ، وإباحة دم الضعفاء وسحقهم ليرفع هذا الإنسان ويسمو . ولم يدرك الفيلسوف الألماني ان دستوفسكي كان يرى في هذه الظاهرة الفردية مصدرا لانكر الامور - للجريمة ، للوقوف في وجه الله، ولتحدي وصاياه وللتمرد على الإنسانية .

- ٦ -

لقد بلغ من قوة دستوفسكي في عرض فكرة بطله ونظريته ان من القراء من يعتبرها فكرة الاديب نفسه . لكن دستوفسكي - على عكس ذلك - اراد العودة بنا الى الانجيل ، والى المثل العليسا المسيحية السامية ، لكن هذه الفكرة - على سموها - تصدم القارئ بنوع من خيبة الامل . فالحلل الديني السماوي للمسكلة اصعب بكثير من العرض « الارضي » الواقعي لها . ووصية « لا تقتل » ، والتي وردت في نهاية الرواية لم تفتح الطريق امام راسكولنيكوف ليجد لقمة العيش ، ولا هي حالت دون نضحية اختها بنفسها ، كما انها لم تنقذ من تحت عجلات العربة جسد مارميلادوف المحترق او يكاترينا ايفانوفنا من الموت في الشارع . لقد عجزت هذه الوصية السامية ان ترد على ما قدمه دستوفسكي بشكل ابغ بكثير ، على هذه الاوضاع الشاذة في مجتمعه . واعتراف راسكولنيكوف امام الناس وعودته الاخيرة الى الانجيل وترديده لفصل بعث لعازر ونلاوته الانجيل مرات ومرات على النهر السيبيري البعيد حيث يقتدي جريمته بالاشغال الشاقة ، كل هذا لم يقدم حلا للاف من امثاله ممن خلفهم وراءه في بطرسبرج يتضورون جوعا ينظرونهم مصير قد يكون اشد حلقة من مصيره .

ان وجود ما يسميه دستوفسكي في «الجريمة والعقاب» بالخاتمة يكاد يسمح لنا بالقول ان الاديب نفسه لم يكن على قناعة تامة من حله الفلسفي لروايته . وكأنه في « خاتمة » هذه يترك امامنا قسحة جديدة للتفكير . فالايبلوج - الخاتمة - في هذه الرواية وفي كثير من امثالها يمثل نهايات سريعة وسعيدة في اغلب الاحيان وغير مقبعة . فالنهاية المنطقية لمجرى الاحداث في الرواية واستنادا الى ما يشير اليه دستوفسكي في روايته وفي مذكراته ومخطوطاته المتعلقة بالرواية هو ان معظم الابطال يستمرون على حياتهم السابقة : ان تسيير بوليا - الاخت الصغرى لسونيا - في الطريق الشائك الذي سلكته اختها الكبرى ، وان يتشرد اخوتها وان توظب سونيا هذه على بيع نفسها لتأمين راحة راسكولنيكوف في منفاه ، وان تموت ام البطل صريعة السل ، وبكلمة واحدة ، ان تستمر الحياة على شاعتها ، كل ذلك مقابل ان تكسب شيئا واحدا وهو الخلاص الروحي للبطل ، وعودته الى الانجيل . لكن ما نشهده في نهاية الرواية يكاد يكون انشودة سعيدة من قبل الكاتب لخلاص بطله : اذ تموت ماريا بيتروفنا سفيدريجايلوفا تاركة لدونيا - اخت البطل - ثلاثة الاف روبل ويتقدم سفيدريجايلوف فيمنح سونيا ثلاثة الاف روبل من اجل اخوتها الصغار وثلاثة الاف اخرى من اجل سفرها الى سيبيريا مع راسكولنيكوف . ويتقدم رازوميخين من دونيا ونشهد اقترابهما العاطفي ويقترح مشروع للطباعة والنشر ينشأ بنقودها ونقوده - (هذه الكمية من المال كان يحلم بها دستوفسكي شخصيا عند افلاس مجلته ، وكان بحاجة الى ثلاثة الاف روبل لتحقيق ذلك ، قدمها سفيدريجايلوف الى بطلته . وينتهي امر دونيا ورازوميخين بالزواج .

- ٧ -

وبعد !

فان ما يمكن ان نخلص به من هذه الرواية يمكن ان يعطي حكما عاما على انتاج دستوفسكي الفني كله . كانت واقعية دستوفسكي هي سر قوته وخلوده . اننا نقرأ رواياته اليوم ونعيش عالمه بكل خفقاته وانفعالاته ، وبالرغم من ان مائة عام من الزمن تفصلنا عن ابطال الجريمة والعقاب ، وانهم عاشوا حياة غير حياتنا ، وتنفسوا هواء غير هوائنا فاننا نحس بهم بيننا ، ونعيش قضايانا ومشاكلنا في قضاياهم وحيواتهم . ولعل السر في ذلك ان كلا من هؤلاء الابطال كان نموذجا لمصره يمثل شطرا كاملا من الحياة الروسية المعاصرة ، وهو في الوقت ذاته نموذج للانسان الخالد في كل عصر ومكان لان

ويخلص راسكولنيكوف بالرغم من فظاعة جريمته . يخلص لان جذوة الايمان لم تنطفئ في داخله حتى في اشد لحظات صراعه النفسي حلقة . اما سفيدريجايلوف فقد انتهت سلسلة جرائمه بانتحاره . وتكاد هاتان الحقيقتان تلخصان كسل فلسفة دستوفسكي المسيحية : فاذا كان راسكولنيكوف قد خلص حقا فلان شعلة الخير والايمان في نفسه قد امتدت واضاءت . ولانه احس بقيمة هذا الايمان الذي احتل كيانه ففضل حياة الاشغال الشاقة في سجن سيبيري على الحياة رازحا نحت ثقل عذابه النفسي المرير . اما سفيدريجايلوف فقد كان انتحاره نتيجة منطقية لذلك التطواف الطويل في عالم الانام والجرائم والضمير المظلم الميت ! لقد انتحر لانه احس انه ميت منذ زمن طويل حتى ان موته الجسدي لم يكن الا امتدادا لذلك الموت الروحي الذي ظل طويلا يعانيه .

ان فقدان الايمان بالله يفقد الى كل ما هو غير انساني برأي دستوفسكي . ولذلك لم يكن الكاتب يقبل بفكرة عدم وجوده . فهو في رواية « الابالسة » يقول على لسان شاتوف - بطله الايجابي الوحيد في الرواية : « اذا لم يكن الله موجودا فان علينا ان نوجده » لان وجوده اساس للوجود البشري وللانسانية . فالمرء على استعداد لارتكاب احط الجرائم عند فقد ايمانه . . . هذه الفكرة تتردد في روايات الاديب وفي مذكراته ورسائله بدءا من « مذكرات من تحت الارض » وحتى « الاخوة كرامازوف » . لقد فقد ستافروجين بطل « الابالسة » كل ما يصله بالانسانية . وما مذكراته - التي يمنع طبعها في كثير من البلدان حتى الان لشناعة ما يرتكب فيها من جرائم - الا صورة مذهلة ومحيرة لما يمكن ان يفترقه ، بل وما يسمى الى افتراه انسان فقد الله ، وقد كانت جريمة راسكولنيكوف اول حلقة في سلسلة جرائم اولئك الذين فقدوا الله . ففقدانه برأي الاديب يفود الى الفرور ، ولا بد لمن ينكر الله ان يضع نفسه مكانه - هذا ما يجعل كيريلوف الملحد يتنحدر ليؤكد لنفسه انه هو الله ، وليضع حدا لهذا السؤال - والفرور يصل بالانسان الى الانانية المفرطة ، والتي لا بد وان تتضخم وتسيطر فتجعل الانسان يعطي لنفسه الحق ان يقتل ويحطم ، وهذا كله يخلق الافكار السوبرمانية التي تقود بساطة الى القتل . ولقد حارب دستوفسكي ظاهرة الفرور هذه ولعن بطله عندما قتل . ولعل نيتشه لم يفهم ذلك عندما كان يعتمد دستوفسكي اباه الروحي قاصدا بذلك ابطاله امثال راسكولنيكوف وبطل « مذكرات من تحت الارض » . لقد اخذ نيتشه ناحية واحدة من الامر - نظرية الفردية عند ابطال الاديب ، ونظرية ال Superman - وجعل هذه الظاهرة منطلقا لفكرة الانسان المتفوق فساد منها صرح فلسفته المعروفة القائمة على تضخيم الفردية والارتفاع بالانسان المتفوق

صدر حديثا

- ١ - **أضواء على مسلك التوحيد الدرزية** بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم مع مقدمة بقلم معالي الاستاذ كمال بك جنبلاط
 - ٢ - **تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية** بقلم الاستاذ عبده الشمالي ١٢٥٥
 - ٣ - **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** ٥٠٠
 - ٤ - **ديوان الاعشى** ٥٠٠
 - ٥ - **ديوان الفرزدق جزآن** ١٧٥٠
 - ٦ - **حكايات لبثانية** ٤٠٠
 - ٧ - **البيان كرم البستاني** ٢٢٥
- الناشر دار صادر للطباعة والنشر - بيروت

أشهر العشاق في التاريخ

- **أيلوئيز** التي دخلت الدير ياسا وانقطعت عن العالم، وأبيلار الذي شوه نفسه، وقضى على رجولته ليظل أمينا على عهدا .
 - **باغانيني** الذي فتن النساء فعفرن كراماتهن على قدميه .
 - **بودلير** ، الشاعر الفرنسي الشهير الذي تدلله باغزب أنواع الجمال الطاغي .
 - **ميسالين** ، الامبراطورة الوثنية التي رفعت الفجور الى مستوى الطقوس الدينية ، وملأت قصورها عهرا وأباحية .
 - **الليدي هامنتن** ، رسولة الحب ، والامبراطورة كاترين الروسية التي شابت وما تابت ، فجعلت من سلطانها المطلق أداة اغراء .
 - **نابوليون بوناپرت** ، الذي ما تفرغ من المعارك الا ليخوض المغامرات الغرامية .
 - **اللورد بيرون** ، الذي احب نفسه ، وبذل نفسه في سبيل استقلال اليونان ،
 - **بولين بورغيز** ، الجامعة الشهوات ، المتنقلة بين احضان الرجال .
 - **ادغار بو** ، الذي اقطع المرأة شطرا كبيرا في حياته .
 - **فاغنز** ، الذي اعتبر المرأة ملهمة ضرورية لكل عبقري .
 - **المركييزة دي بومبادور** ، فاتنة الملك الفرنسي لويس الخامس عشر .
 - **نابوليون الثالث** ، الذي اقترن باجمل امرأة في عصره ، وما وجد متعته الكبرى الا في احضان الجانحات .
- سلسلة من روايات الغرام التاريخي الحافل بالمفاجآت ، والمغامرات ، والطرائف ، تجد فيها ارق العواطف ، واغرب الحوادث ، وعبرا من الامانة والخيانة ، والبذل حتى الموت ، والتضحية حتى الفداء ، فضلا عن وضعها في قوالب من اللغة السليمة ، والادب الرفيع ، السلس ، السهل المأخذ ، على ايدي نخبة من كبار الادباء .

اطلبها من **((دار المكشوف))**

بيروت - ص.ب. ٥٨١

دستويفسكي استطاع ، في رسمه لشخصياته ان يسمو حتى اوسع الافاق الانسانية وذلك لعمق تجربته ولصدقته في رسم العنصر البشري الاصلي في كل من ابطاله ولفرضه الظروف النموذجية الطبيعية لحياة هؤلاء الابطال دون تصنع او افتعال الى جانب صدق وطرافة المواضيع التي يطررها وشمولها في ميادين الفكر والحياة والنفسية البشرية .

تمثلت واقعية دستويفسكي في قدرته العجيبة على الدخول الى الخفايا العميقة للنفسية الانسانية من جهة ، وعلى رسم ما هو نموذجي ومميز بالنسبة للنفسية الاجتماعية المعاصرة من جهة اخرى ، كما تميز بشيء من « التنبؤية » ان صح التعبير . فقد استطاع ادبه ان يعكس ظواهر اجتماعية لم تكن بعد شديدة الوضوح زمن الاديب لكنها اصبحت فيما بعد من مميزات العصر . والجريمة واحدة من هذه الظواهر التي كان المجتمع الروسي يخطو لابرازها ، والتي كان دستويفسكي يراها نتيجة لا بد منها لمسير الحياة المعاصرة وتطورها .

لكئ ما وضعه دستويفسكي من حل للامور في مؤلفاته هو ما يمثل سر ضعفه . فالحل الديني الميتافيزيكي لمشاكل عصره المعقدة ومحاولة اليائسة ان يعود بنا دوما الى الانجيل ، وان يقنعنا بالصفح المسيحي عن ظالمتنا وان نصلي من اجل جلادينا ، كان هذا كله صرخة واهية وساذجة في واد يهوج بالفوضى والظلم والفساد . وقد يفسر هذا ان ظاهرة الخلط بين النظرات التقدمية وحتى الثورية وبين النظرات الدينية كانت من الخصائص المميزة لمفكري القرن التاسع عشر في روسيا . وهذا ما نلاحظه في تحليل دستويفسكي الواقعي لنفسيات ابطاله ، اذ يراهم ، بالاضافة الى مطامعهم الثورية ، واحلامهم بتقدم روسيا وبالبنية ، مرهقين - والامر نفسه بالنسبة لاكثرهم الحادا - تحت فكرة الاله ووجوده ، وعلاقة الانسان الدينية بخالقه وبالآخرين وبرجال الدين ، وبصل هذه المعانيات الدينية احيانا بصدقها وصدقها درجة تضع المسيحية نفسها - مسيحية دستويفسكي وانجيله - في موقف حرج بل وسافر .

فاليوشا كرامازوف - المسيح الكامل لما جاءت به تعاليم الامير ميشكين في رواية « الابله » يأمر بالقتل ! وذلك عندما يقنعه اخوه ايفان بلا مندوحة ذلك . كما ان لوحة عذاب الاطفال ، والتي يعرضها ايفان كرامازوف هذا تظل القضية الانسانية الخالدة التي يعجز عن الاجابة عليها اي دين او ضمير بشري !

لقد خرج دستويفسكي بنتيجة نعتبرها في ميزان فلسفتنا الحديثة خاطئة وهي ان الشرور والانام امور خالدة لا مفر منها في حياتنا ، وان الجريمة والدعارة والسول مظاهر لا غنى عنها في حياة الروح الانسانية الابدية . وامن بالازدواجية الخالدة للنفس البشرية ، بان حياة الانسان نتيجة لصراع بين قوى الخير والشر . ولذلك لم يكن دستويفسكي يؤمن باي حل اجتماعي لقضايا عصره فاكفى بالحل الديني فقط وهو ان انتزاع الشر من نفس الانسان ضمانا كافية للسعادة البشرية .

كان المحيط الاجتماعي الذي عاشه دستويفسكي منبعا لنظراته هذه الى الحياة ، ولم يكن لذلك العصر الذي عاشت فيه روسيا افجع فترة من تاريخها ان يقال من ايمان دستويفسكي بالانسان وبالمستقبل البشري . لقد ظل ، خلال نضاله الطويل في الحياة محتفظا بهذا الايمان العميق وبان منبع الفضيلة في الانسان ازلي الخلود . ولذلك كان كل انتاجه الفني محاولة عميقة ومخلصة لان يسمو بهذه الطبيعة البشرية ويرتفع بالانسان . كما كانت حياته كلها بحثا عن الحقيقة ونضالا من اجلها .

عماد حاتم

الاذقية

المراجع الرئيسية للبحث

- ف.م. دستويفسكي . المؤلفات . الاجزاء ١ - ١٠ . موسكو ١٩٥٨
- دستويفسكي . الرسائل . الاجزاء ١ - ٤ . موسكو ١٩٢٨ - ١٩٥٩
- ل. جروسمان . دستويفسكي . موسكو ١٩٦٢
- ج.م. فريدلندر . واقعية دستويفسكي . موسكو . ١٩٦٤